وصف أرباب القتال من نفحات سورة الأنفال

إعداد: أحمد بن فهد بن مزيد الخطاف



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً به وتوحيداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً، أما بعد:

جعل الله القرآن الكريم منهاج حياة للبشرية جمعاء، إليه يردون، وعنه يصدرون، قال تعالى: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} (١٠٦) سورة الأنعام، وقال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} (٨٩) سورة النحل.

وجعل الله هداية الخلق منوطة باتباع سيد الخلق إلى يوم القيامة، وهداية الناس إلى شرعه ودينه من أعظم القربات والطاعات، بالقلم والسنان، والسيف والبنان، قال الإمام مالك ـــ رحمه الله تعالى ـــ لا يُصلح آخرَ هذه الأمة إلا ما أصلَح أولَها. وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وما جائزة الأمير سلطان الدولية في حفظ القرآن الكريم للعسكريين إلاَّ امتداد لهذا النهج الكريم؛ فشكر الله لسموه الكريم، وجعله في ميزان حسناته {يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ*إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} (٨٨-٨٩) سورة الشعراء.

وقد أحببت المشاركة في ملتقى: العسكرية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم المصاحب للمسابقة، ببحث عن صفات الجندي المسلم، وأسميته: وصف أرباب القتال من نفحات سورة الأنفال، وأرباب بمعنى: أصحاب[١].

أسأل الله العلي القدير أن يثيب القائمين على هذه المسابقة خيراً، وأن يتقبل منهم ما يقدموه.

والمنهج في العزو لكتب السنة النبوية برقم الحديث وجعله بين قوسين؛ أما كتب التخريج فقد تكون بالرقم، أو الإشارة لرقم الجزء والصفحة، وكتب اللغة يعزى لأصل الكلمة ومادتها، وبيانات الطبعات أخرتها لقائمة المصادر والمراجع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الباحث: أحمد بن فهد الخطاف

[١] ينظر القاموس المحيط مادة: ربب.



تمهيد بين يدي السورة

سورة الأنفال سورة مدنية نزلت في شأن غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة النبوية، وتسمى سورة بدر[1]، وهذه الغزوة توصف بالكبرى لما أجرى الله تعالى فيها من الدلائل والعلامات لنصرة دينه ونبيه محمد[2] ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبسببها كُسر كبرياء قريش، بهزيمتها وقتل كبرائها.

المبحث الأول: سبب اختيار سورة الأنفال مادة لصفات الجندي المسلم:

سياق آيات غزوة بدر الكبرى في سورة الأنفال، فيها من الدروس والعبر الشيء الكثير الطيب، للجيش المسلم الفتيّ في أول منازلة عسكرية له مع الكافرين؛ فيستفيد منها من شاء الله من عباده منارات هدى، وبصائرَ سلوك قويم في تاريخ البشر، ويمكن إجمال الأسباب بالآتي:

١. أن غزوة بدر الكبرى أعادت رسم خريطة القوى بين مسلمي المدينة، ومشركي مكة.

٢. وحدة السورة الموضوعية تكاد تكون في تلك الغزوة فحسب.

٣. اشتملت السورة على قواعد وافرة في التعامل الحربي، والإعداد النفسي، والبدني للجندي المسلم.

٤. أكدت السورة على المقصود الأعظم من الجهاد، وهو نشر الدين الإسلامي، وتكرر في السورة التأكيد على هذا المقصد.

المبحث الثاني: مقصد السورة، ومناسبتها لما قبلها:

مقصد السورة تبرؤ العباد من الحول والقوة، وحثهم على التسليم لأوامر الله تعالى؛ ليثمر لهم الاعتصام بأمر الله تعالى، وبيان نصر الله تعالى لجنده المؤمنين، وأنه حسبهم وكافيهم[3].

وتسمى السورة أيضاً بسورة الجهاد[4]؛ فكثير من أحكام الجهاد الكبرى تحدثت عنها السورة، مثل: طاعة الله والرسول، واجتماع الكلمة وترك التفرق، وبيان ضلالات الكافرين، والإعداد للقتال، وقسمة الغنائم، ومعاملة الأسرى، والهدنة والصلح، ونصرة المستضعفين..

إن الانتظام في ذروة سنام الإسلام؛ لبث الإسلام ونشره، شرف عظيم ؛ فعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ــ رضي الله عنه ــ قَالَ: قال النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ (رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ)[5]؛ فهنيئاً لمن وفقه الله تعالى لهذا الأمر.

---

[1] ينظر: الإتقان في علوم القرآن ١٧٢/١.

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار ١١٤/١٠-١١٦.

[3] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٨١/٣.

[4] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٨٢/٣.

[5] خرَّجه الترمذي (٢٦١٦).



أما مناسبتها لما قبلها؛ فلما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف قصص الأنبياء مع أقوامهم، وتكذيبهم لهم، وكيف أهلك الله الكافرين، ناسب أن يذكر الله تعالى قصة رسوله ونبيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ مع قومه؛ ليؤسس للأمة مجداً إسلامياً جديداً، ويرفع شأن أمة جديدة[١].

الباب الأول: الجهاد في الإسلام:

لعل من المناسب قبل الشروع في وصف أرباب القتال من خلال سورة الأنفال أن يكون هناك مدخل تعريفي لهذه الوظيفة التي اختارها الله للجندي المسلم، ألا وهي نصر الدين بالجهاد في سبيل الله تعالى.

الفصل الأول: تعريف الجهاد في اللغة والشرع، وبيان حقيقته:

في اللغة: مصدر الفعل الرباعي جاهد، وأصله الثلاثي: جَهِدَ، ويطلق على الطاقَة، والمَشَقَّة، ويفتح ويضمُّ، ومعناه المُبَالَغة واسْتِفْراغ ما في الوُسْع والطَّاقة من قول أو فعْل، يقال: جَهَد الرجُل في الشَّيء: أي جَدَّ فيه وبالَغ وجاهَد في الحَرْب مُجاهَدَة وجهاداً،[٢] وقيل هو: استفراغ الوسع في المدافعة بين طرفين ولو تقديراً[٣].

وفي الشرع: بذل الجهد في قتال الكفار خاصة[٤]، فيلاحظ هنا قصره على قتال الكافرين، وإن كان يُطْلَق أَيْضًا في نصوص الشرع عَلَى مُجَاهَدَة النَّفْس وَالشَّيْطَان وَالْفُسَّاق بقرينة السياق[٥].

وإذا أطلق لفظ الجهاد في النصوص الشرعية دل على قتال الكافرين بوصفه حقيقة شرعية وعرفية واصطلاحية، وقد يدل على المعنى اللغوي العام بقرينة من دلالة السياق[٦].

فتكون حقيقة الجهاد: بالاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان، وبذل الوسع في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق[٧].

---

[١] ينظر: نظم الدرر ١٨٢/٣، الجواهر في تفسير القرآن الكريم ٢/٥، روح المعاني ٢٠٩/٩.

[٢] ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مفردات ألفاظ القرآن، الكليات، المعجم الوسيط في مادة: جهد، فتح الباري ٥/٦، المطلع على ألفاظ المقنع ص ٢٤٧، الموسوعة الفقهية ١٢٤/١٦.

[٣] الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ٣٩/١.

[٤] ينظر في تعريف الجهاد شرعاً: فتح الباري ٥/٦، نيل الأوطار٦/٥، المطلع على ألفاظ المقنع ص ٢٤٧، شرح منتهى الإرادات ٥/٣، كشاف القناع ٣٥/٣، علماً أن عامة التعريفات التي وقفت عليها لا تخرج عن مضمون هذا التعريف.

[٥] النهاية في غريب الحديث والأثر مادة: جهد.

[٦] الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ٤٥/١-٤٧.

[٧] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٩١/١٠-١٩٣.



الفصل الثاني: أهمية الجهاد في حياة الأمة المسلمة:

القيام بالجهاد في سبيل الله تعالى أعظم أسباب عزة الأمة المسلمة وكرامتها، وتمكينها في الأرض؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ــ رضي الله عنهما ــ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ يَقُولُ: (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاً لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ)[1].

(لمّا كان الجهاد ذروة سنام الإسلام وقبتَه، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة، كما لهم الرفعة في الدنيا؛ فهم الأعلون في الدنيا والآخرة، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذِّروة العليا منه، واستولى على أنواعه كلها؛ فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان، والدعوة والبيان، والسيف والسنان، وكانت ساعاته موقوفةً على الجهاد بقلبه ولسانه ويده، ولهذا كان أرفع العالمين ذكراً، وأعظمهم عند الله قدراً)[2].

(والجهاد يتضمن كمال محبة ما أمر الله به، وكمال بغض ما نهى الله عنه، ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ} (٥٤) سورة المائدة، ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها، وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم، وأكمل هذه الأمة في ذلك أصحاب محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل) [3].

الفصل الثالث: الحكمة من مشروعية الجهاد:[4]

يمكن اختزال الحِكم في النقاط التالية:

الأولى: إقامة راية التوحيد، وإعلاء دين الله في الأرض، والتضييق على الكفر، قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (٣٩) سورة الأنفال والفتنة هنا: الشرك[5].

فلأجل أن يكون الدين كله لله هو المقصود الذي خلق الله الخلق له، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} (٥٦) سورة الذاريات؛ فكل ما كان لأجل الغاية التي خُلق الخلق لها كان محموداً عند الله، وهو الذي يبقى لصاحبه وينفعه الله به[6].

---

[1] خرَّجه أبو داود (٣٤٦٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١).

[2] زاد المعاد في هدي خير العباد ٥/٣.

[3] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٩٣/١٠.

[4] ينظر: أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية ص١٥٨-١٩١.

[5] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص٤٧٨، وينظر: الموسوعة الفقهية ١٣٢/١٦.

[6] ينظر: الاستقامة ٢٨٤/٢-٢٨٥.



والمقصود أن تكون كلمة اللّه هي العليا، ويكون الدين كله لله، وإنَّ من كـونِ الـدين كلـه لله إذلال الكفر وأهله وصغاره، وضرب الجزية على رؤوس أهله، والرق على رقابهم؛ فهذا من ديـن الله، ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم وإقامة دينهم كما يحبون، بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة[1].

الثانية: رد اعتداء المعتدين على المسلمين، قال تعالى: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَـاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ} (١٩٠) سورة البقرة.

الثالثة: نصرة المستضعفين من المسلمين، قال تعالى: {وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الـدِّينِ فَعَلَـيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (٧٢) سورة الأنفال.

الرابعة: نشر الدين الإسلامي وتبليغه، ودعوة الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ونشر دين الله في الأرض، وأن يكون الدين كله لله، قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُـونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه} (٣٩) سورة الأنفال[2].

الخامسة: تمحيص المؤمنين من ذنوبهم ورفعة درجاتهم، قال تعالى: {وَلِيُمَحِّصَ اللّـهُ الَّـذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} (١٤١) سورة آل عمران، نزلت في غزوة أحد.

السادسة: أنه باب من أبواب الرزق الحلال، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ــ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا ــ : قَـالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ (بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْـدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَـنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)[3].

الفصل الرابع: فضل الجهاد والمجاهدين[4]:

الفائدة من بيان فضائله لكونها من أعظم ما يشحذ همَّة الجندي المسلم، وتزيد حماسـته واحتـساب عمله في سبيل الله تعالى، وقد ورد في فضائل الجهاد في سبيل الله تعالى نصوص كثيرة منها علـى سبيل المثال قول الله تعالى: {لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِـدُونَ فِـي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّـهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} (٩٥) سورة النساء.

---

[1] ينظر: أحكام أهل الذمة ١/١١٠-١١١.

[2] ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١٨/٧٠.

[3] خرَّجه أحمد(٥١١٥) و(٥١١٥) و(٥٦٦٧)، وينظر: إرواء الغليل (١٢٦٩).

[4] فضائل الجهاد توجد مبثوثة في كتب السنة النبوية والتفسير والفقه، وضمن مؤلفات تخصصت في بيان الجهاد وأحكامه وفضائله، على سبيل المثال:

كتاب الجهاد لابن أبي عاصم (ت٢٨٧) مطبوع.

مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام لابن النحاس الدمياطي (ت٨١٤) مطبوع.



وقوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (١١١) سورة التوبة.

وأما الأحاديث فمنها:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ: (رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنْ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْغَدْوَةُ، خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)[١].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما ــ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ يَقُولُ: (عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)[٢].

عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ يَقُولُ: (مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فُوَاقَ[٣] نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْقَتْلَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ صَادِقًا ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ، لَوْنُهَا كَالزَّعْفَرَانِ وَرِيحُهَا كَالْمِسْكِ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَعَلَيْهِ طَابَعُ الشُّهَدَاءِ)[٤].

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ، انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتْ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ؛ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ) ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ)[٥].

---

[١] خرَّجه البخاري (٢٧٣٥)، ومسلم (١٨٨١)، والنسائي (٣١١٨).

[٢] خرَّجه الترمذي (١٦٣٩).

[٣] الفُواق مقدار ما بين الحلبتين من الوقت، والضم أشهر من الفتح. ينظر: الكليات ص ٦٩٨.

[٤] خرَّجه أبو داود (٢٥٤١)، والنسائي (٣١٤١)، والترمذي (١٦٥٧)، وابن ماجه (٢٧٩٢).

[٥] خرَّجه البخاري (٢٨٦٢)، ومسلم (١٧٤٢)، والترمذي (١٥٨٣).



الفصل الخامس: مراتب الجهاد:

اختلفت عبارات أهل العلم في بيان هذه المراتب، والخلاف فيها يسير، وقد جعلها ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ أربعة مراتب[1]:

١. جهاد النفس.

٢. جهاد الشيطان.

٣. جهاد الكفار، وهو المراد في هذا المبحث.

٤. جهاد المنافقين.

(وأكمل الخلق عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها، والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في مراتب الجهاد، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم أنبيائه ورسله فإنه كمَّل مراتب الجهاد وجاهد في الله حق جهاده)[2].

(والناس فيه على قسمين: قسم يأمرون وينهون ويقاتلون طلباً لإزالة الفتنة ــ زعموا ــ ويكون فعلهم ذلك أعظم فتنة، كالمقتتلين في الفتن الواقعة بين الأمة مثل الخوارج.

وأقوام ينكلون عن الأمر والنهي والقتال الذي يكون به الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا؛ لئلا يُفتنوا، وهم قد سقطوا في الفتنة)[3].

الفصل السادس: مراحل تشريع الجهاد:

قام النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالدعوة إلى دين الحق من غير جهاد، مع الصبر على أذى المشركين والإعراض عنهم، وكان هذا في المرحلة المكية، قال تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} (٩٤) سورة الحجر، وقال تعالى: {فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١٠٩) سورة البقرة، وقال تعالى: {قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ} (١٤) سورة الجاثية.

---

[1] ينظر في أقسام الجهاد، زاد المعاد ٣/٩-١٨، والعلامة العثيمين في الشرح الممتع ٨/٧-٨ جعلها ثلاث مراتب: جهاد النفس والمنافقين والكافرين، وابن المناصف في الإنجاد في أبواب الجهاد ص ٨٨-٩١ جعلها ثلاثة: جهاد بالقلب وباللسان وباليد، والراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص٢٠٨ جعلها ثلاثة: مجاهدة العدو الظاهر، والشيطان، والنفس.

[2] زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/١٢.

[3] الاستقامة ٢/٢٩٠.



إن الجهاد من أشق العبادات على المكلف؛ ففيه المخاطرة بالنفس، وهو من مظان الموت بقدر الله تعالى، وفيه إنفاق المال وذهابه، ولما كان لا بد للمسلمين من قوة تمكنهم من عبادة الله تعالى ونشر دينه في الأرض، جعل الله تعالى إيجابه على عباده المؤمنين متدرجاً كالتالي:[١]

المرحلة الأولى: الإذن بالقتال من غير إيجاب، قال تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} (٣٩) سورة الحـــج.

وهذه الآية هي أول آية نزلت في أمر القتال؛ فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ــ رضي الله عنهما ــ قَالَ: لَمَّا أُخْرِجَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ مِنْ مَكَّةَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ لَيَهْلِكُنَّ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَــالَى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ[٢].

المرحلة الثانية: الأمر بقتال من يقاتل المسلمين والكف عمن لم يقاتلهم، قال تعالى: {وَقَــاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ} (١٩٠) سورة البقرة، وهــذا تدريج من الإذن بالقتال إلى نوع خاص من الإيجاب.

المرحلة الثالثة: الأمر بقتال المشركين كافة، قال تعالى: {وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} (٣٦) سورة التوبة.

الفصل السابع: حكم الجهاد في سبيل الله:

جمهور أهل العلم على أن الجهاد فرض كفاية، قال ابن قدامة: (الجهاد من فروض الكفايــات، في قول عامة أهل العلم)[٣].

وقال ابن حزم: (والجهاد فرض على المسلمين؛ فإذا أقام به من يدفع العدو ويغزوهم في عقر دارهم ويحمى ثغور المسلمين، سقط فرضه عن الباقين وإلاَّ فلا)[٤].

وقال الكاساني: (إن لم يكن النفير عاماً فهو فرض كفاية.. إذا قام بــه الــبعض ســقط عــن الباقين)[٥].

---

[١] ينظر في مراحل تشريع الجهاد: زاد المعاد ٣/١٥٨-١٦١، بدائع الفوائد ٣/١١٣٥، الإنجاد في أبواب الجهاد ص ٩١-٩٥، جامع البيان ٣/٥٦١ و١٨/٦٤٢، الجامع لأحكام القرآن ١٢/٦٨، أضواء البيان ٥/٧٦١-٧٦٤، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية ص١٣٦-١٥٧، المبسوط ١٠/٥-٦، الإقناع ٢/٤٤٦-٤٤٨، فضل الجهاد والمجاهدين، ضمن مجموع فتاوى ابن باز ١٨/٧٣-٧٥.

[٢] خرَّجه الترمذي (٣٠٩٥)، والنسائي (٣٠٨٥).

[٣] المغني ١٣/٦، وينظر: العدة ٢/٣٣٧، حاشية الروض المربع ٤/٢٥٤.

[٤] المحلى ٧/٢٩١.

[٥] بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٧/١٥٧.



وقال ابن حجر: (هو فرض كفاية على المشهور، إلا أن تدعو الحاجة إليه كأن يدهم العدو ويتعين على من عينه الإمام، ويتأدى فرض الكفاية بفعله في السنة مرة عند الجمهور، ومن حجتهم أن الجزية تجب بدلاً عنه ولا تجب في السنة أكثر من مرة اتفاقاً فليكن بدلها كذلك، وقيل يجب كلما أمكن وهو قوي..، والتحقيق أيضاً أن جنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم إما بيده وإما بلسانه وإما بماله وإما بقلبه)[1].

فإذا قام بثغور المسلمين من فيه الكفاية لقتال الكافرين سقط الإثم عن المتخلفين؛ لقوله تعالى: {لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} (٩٥) [سورة النساء] فدل على سقوط الإثم عن المتخلف إذا قام للعدو من فيه الكفاية؛ لأنه لما وعد المتخلف عن الجهاد الحسنى لقوله تعالى: {وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى} دلَّ على أنه غير حرَج، ودلَّ قوله: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً} (١٢٢) [سورة التوبة] على مثال هذا المعنى، مع أنا لا نعلم لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ غزوة خرج فيها إلا وقد تخلف عنه فيها رجال، وتخلف ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن سرايا أخرجها؛ ففي تخلفه عن الخروج مع السرايا دليل على هذا[2].

والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين، إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالمال، وإما باليد؛ فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع، أما الجهاد بالنفس ففرض كفاية[3].

وإلى هذا القول ذهب سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز[4] ــ رحمه الله تعالى ــ.

الباب الثاني: وصف أرباب القتال من نفحات سورة الأنفال:

ورد في سورة الأنفال أوصاف وتنبيهات لحزب الله المفلحين، وجنده المنصورين، وحاملي راية الإسلام، وهذه الإشارات والإرشادات تختلف باختلاف مساقها وموقعها.

ففي سورة الأنفال أشار الله إلى صفات الجندي على النحو التالي:

١. ذكر بعض صفات المؤمنين، أو الإشارة إليها للحث عليها، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (٢) سورة الأنفال.

---

[1] فتح الباري ٤٥/٦.

[2] ينظر: الإقناع ٤٤٩/٢.

[3] ينظر: زاد المعاد ٧٢/٣.

[4] ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٣١٠/١٨، ٣١٢.



٢. ذكر صفات الهالكين للتنفير منها، قال تعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ*الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ} (٥٥-٥٦) سورة الأنفال.

٣. النهي عن مشابهة الهالكين، قال تعالى: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} (٤٧) سورة الأنفال.

الصفة الأولى: سلامة العقيدة

المبحث الأول: تعريف العقيدة:

لغة: تطلق على العقد والربط، والشد بقوة، والعهد، والتماسك، والضمان، والحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقِده[1].

اصطلاحاً: حكم الذهن الجازم حقاً كان أو باطلاً.

فإن طابق الواقع كاعتقادنا أن الله واحد، فيكون صحيحاً، وإن لم يطابق الواقع كاعتقاد النصارى أن الله ثالث ثلاثة، فباطل[2].

وكلمة التوحيد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسلت الرسله، وأنزلت الكتبه، وشرعت الشرائع، ولأجلها قام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار؛ فهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جُرِّدت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد؛ فهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام[3].

المبحث الثاني: أهمية العقيدة:

مكث النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة ثلاث عشرة سنة، يعلم الناس العقيدة الربانية، الصافية عن درن الشرك والأوثان، ويتنزل عليه القرآن الكريم، لغرسها في النفوس والأفهام، قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (١٥٨) سورة الأعراف.

وكانت الدعوة إلى التوحيد رسالة كل نبي ورسول، كما قال الله: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} (٣٦) سورة النحل، بل إن إيجاد الخلق لعبادة الله تعالى كما

[1] ينظر: القاموس المحيط، المعجم الوسيط مادة: عقد.

[2] ينظر: شرح العقيدة الواسطية ٥٠/١، عقيدة أهل السنة والجماعة ص٨.

[3] ينظر: زاد المعاد ٣٤/١.



قال: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} (٥٦) سورة الذاريات؛ فنشأ ذلك الجيل على صفاء الاعتقاد، وثبات القلب، وسار على نهجهم من اتبعهم بإحسان.

والعقيدة أساس كل بناء[١] ديني أو دنيوي، عسكري أو مدني, والتحلي بالعقيدة الإسلامية سمة من سمات الجندي المسلم، ذلك أنها دافع نفسي للمزيد من العطاء، وهي أساس معنوي لتحقيق الهدف، عَنْ ابْنِ عُمَرَ ــ رضي الله عنهما ــ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)[٢]

المبحث الثالث: عقيدة أرباب القتال من خلال سورة الأنفال:

في سورة الأنفال إشارات في ثنايا الحديث عن غزوة بدر الكبرى إلى بعض المسائل في العقيدة، على الجندي المسلم أن يعيها ويستشعرها ويتحلى بها؛ فهو حامل رسالة سامية قبل أن يكون حامل سلاح، وهي كالتالي:

١. أن المعركة بين الحق والباطل لا تنتهي ما بقي الكفر والإيمان، وأن الحرب عقائدية بالدرجة الأولى.

فقال تعالى: {وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ*لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} (٧-٨) سورة الأنفال، {لِيُحِقَّ الْحَقَّ} ليثبت الإسلام ويظهره ويعز أهله {وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ} يفني الكفر وأهله { وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} وهم المشركون.[٣]

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (٣٩) سورة الأنفال.

يأمر الله عباده المؤمنين بقتال الكافرين حتى لا يكون شرك وكفر، ويدان بالدين الحق لله رب العالمين[٤]، ومدَّ الله قتالهم إلى أن ينتهوا عن أسباب الفتنة[٥].

٢. محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين ومعاداتهم أصل من أصول الاعتقاد.

قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (٦٠) سورة الأنفال.

[١] ينظر في أهمية العقيدة والتدين عند العسكريين الغربيين ودفاعهم عنها: بين العقيدة والقيادة ص٥٩-٩٨.

[٢] خرَّجه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٣).

[٣] ينظر: معالم التنزيل ٣٣٢/٣.

[٤] ينظر: معالم التنزيل ٣٣٢/٣، وتفسير القرآن العظيم ٥٦/٤.

[٥] ينظر أحكام أهل الذمة ١٣٩٦/٣.



فيه أمر الله تعالى للمؤمنين بالإعداد الدائم لأجل جهاد العدو وإخافته، ووصف سبحانه هذا العدو بأنه عدو لله تعالى، وعدو لأوليائه المؤمنين.

وقد تواترت نصوص الوحيين ــ الكتاب والسنة ــ بالتأكيد على هذا الأصل العظيم من أصول الدين، قال تعالى: {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٢٢) سورة المجادلة، وعن البراء ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (إن أوثق عُرى الإيمانِ أن تُحبَّ في الله ، وتبغضُ في الله)[1]، وعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ (مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَنَعَ لِلَّهِ، وَأَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَنْكَحَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ)[2].

(فمغايظة الكفار غاية محبوبة للرب مطلوبة له، فموافقته فيها من كمال العبودية.. فمن تعبد الله بمراغمة عدوه فقد أخذ من الصدِّيقيَّة بسهم وافر، وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه يكون نصيبه من هذه المراغمة، ولأجل هذه المراغمة حُمد التبختر بين الصفين)[3] وتأمل وصف الله لجنده المؤمنين بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (٥٤) سورة المائدة؛ فمدحهم لا بموالاتهم للمؤمنين بل بالتذلل لهم، ولا بالبغض للكافرين بل بإظهار العزة والرفعة عليهم، وهذا معنى أخص من مجرد الحب أو البغض.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ عَنْ النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ، مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لا يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ)[4].

وإن المتأمل للتاريخ العسكري في العهد النبوي وما بعده إلى يوم الناس هذا ليجد أن الجواسيس والخونة والعملاء قد أخلوا بهذا الأصل العقدي؛ فانقلبت المعايير لديهم، وقد لا يظهر

---

[1] خرَّجه أحمد (١٨٥٢٤)، وحسنه الألباني بمجموع طرقه، ينظر: السلسلة الصحيحة (١٧٢٨).

[2] خرَّجه أحمد (١٥٦٣٨) وإسناده حسن.

[3] مدارج السالكين ٢٥٨/١.

[4] خرَّجه البخاري (٢٠)، ومسلم (٦٠).



خطرها ويعلم القادة بها في ساعة الصفر، عندما يكشر العدو عن أنيابه، وما سقوط بغداد سنة:٦٥٦ إلاَّ مثال من الأمثلة.

٣. عدم التشبه بالكافرين، سلوكياً أو اجتماعياً، أو اتخاذهم قدوة.

ورد النهي عن مشابهة الهالكين في موضعين من سورة الأنفال؛ فقال تعالى في الموضع الأول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ*وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ}(٢٠-٢١) سورة الأنفال.

في هذا التوجيه الرباني (يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له؛ ولهذا قال: {وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ} أي: لا تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره، {وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} أي: بعد ما علمتم ما دعاكم إليه {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ} قيل: المراد المشركون).[1]

وقال سبحانه في الموضع الثاني: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} (٤٧) سورة الأنفال.

يقول تعالى بعد أمره المؤمنين بالإخلاص في القتال في سبيله وكثرة ذكره، ناهيًا لهم عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم {بَطَرًا} أي: دفعا للحق، {وَرِئَاءَ النَّاسِ} وهو: المفاخرة والتكبر عليهم.

والمقصود الأعظم أنهم خرجوا ليصدوا عن سبيل اللّه من أراد سلوكه؛ فلذلك أخبركم أيها المؤمنون بمقاصدهم، وحذركم أن تشبهوا بهم، فإنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة.

فليكن قصدكم في خروجكم وجه اللّه تعالى وإعلاء دين اللّه، والصد عن الطرق الموصلة إلى سخط اللّه وعقابه، وجذب الناس إلى سبيل اللّه القويم الموصل لجنات النعيم[2].

إن الجندي المسلم الحق يعرف شرف العمل الذي يقوم به، فلا يغتر بثقافة الغرب ولا تبهره حضارته، ويتحسَّر على من يراه قد تشبه بعدوه في مظهره ومخبره، جسده خامل في بلاد المسلمين، وقلبه وعقله ونفسه وبصره عند عدوه يتقلب بين قنواتهم المرئية، ويتحسس أخبارهم وأحوالهم، ويشيد بهم محبة وتعظيماً؛ فلن تجد عند المهزوم نفسياً والمغتر بعدوه ثباتاً على المبدأ، وتوقداً لنصر الدين، ومنافحة ــ لما يحمل من حق ــ عن بلاده حتى آخر قطرة من دمه؟

٤. استشعار منة الله ونعمته على عباده المؤمنين، ومعيته سبحانه للجيش المسلم.

---

[1] تفسير القرآن العظيم ٣٣/٤.

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم ٧٢/٤، تيسير الكريم الرحمن ٢٠٧/٢.



حينما يدرك الجندي المسلم سمو هدفه، وقد أعد نفسه جندياً أميناً، ومقاتلاً عنيداً، ومجاهداً صنديداً للذود عن حياض الدين وحماية المقدسات، ورفع الظلم ونشر الهدى والعلم، وأن الله اختاره لهذا الطريق؛ فإن نفسه تسمو إلى المعالي، وترتبط بالله تعالى تقرباً إليه بأفضل التجارة لديه كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ*تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} (١٠-١١) سورة الصف.

وقد جاءت الإشارة لذلك في سورة الأنفال؛ فمن ذلك: {وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (٢٦) سورة الأنفال.

أمر الله عباده المؤمنين أن يتذكروا حال الضعف والضعة والهوان حينما كان المشركون بمكة يسومونهم العذاب الشديد؛ فمنَّ الله عليهم بالمهاجر للمدينة، وجمعِ الكلمة ولمِّ الشعث، وقوَّى من بعد ضعف، وأنزل نصره المبين لهم يوم بدر، ثم منَّ على المؤمنين بالغنيمة ولم تكن تحل للأمم قبلهم.

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (٦٤) سورة الأنفال.

يخبر الله عن معيته لنبيه ومن اتبعه من المؤمنين، ويحرض نبيه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قلَّ عدد المؤمنين وقلت عددهم؛ فالمؤمن لا يعتمد على قوته، أو شجاعته..أو غيرها من الأسباب المادية، بل يأخذ بالسبب المأمور به معتمداً على عون الله ونصره؛ كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (٧) سورة محمد.

وقال تعالى: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ} (١١) سورة الأنفال.

يذكر الله عباده بنعمته عليهم حيث أنزل عليهم النعاس أماناً من الخوف والرهبة الحاصلة لكون الحرب غير متكافئة من كثرة عدوهم، وجرت العادة أن الخائف القلق لا يجد النعاس إلى عينيه سبيلاً، ويمتن عليهم بإنزال المطر الذي أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منه ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم من المسير، وأصاب قريشا منه ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه[1].

[1] ينظر: السيرة النبوية ٢/٢١٠.



الــصــفــة الثانية: الاستقامة على الشرع بطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول: تعريف الاستقامة لغة وشرعاً:

الاستقامة تطلق في اللغة: على العدل، والاعتدال، والرشْد، والميل عــن الــشرك، والقــصد، والاستمرار على سَنَنٍ واحد.. فهي كلمة واسعة المعنى[1].

والاستقامة في الشرع: (سلوكُ الصِّراط المستقيم، وهو الدِّينُ القيِّم من غير تعريج عنه يَمنــةً ولا يَسرةً، ويشمل ذلك فعلَ الطَّاعات كلّها، الظاهرة والباطنة)[2].

المبحث الثاني: حقيقة الاستقامة:

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ ــ رضي الله عنه ــ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: حَــدِّثْنِي بِــأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: (قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ) قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَــيَّ؟ فَأَخَــذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ: (هَذَا)[3].

الاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، تكون بالقيام بين يدي الله علــى حقيقــة الــصدق، والوفاء بالعهد، وتتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات؛ فالاستقامة فيهــا: وقوعهــا لله، وبالله، وعلى أمر الله[4].

وأصلُها وأعظمها استقامةُ القلب على التوحيد؛ فمتى استقام القلبُ على معرفةِ الله، وعلــى خــشيته وإجلاله، ومحبته، ورجائه، ودعائه، والتوكُّلِ عليه، والإعراض عما سواه، استقامت الجــوارحُ كلُّهــا على طاعته؛ فإنَّ القلبَ ملكُ الأعضاء وهي جنودهُ؛ فإذا استقامَ الملك استقامت جنودُه ورعاياه[5].

وأعظم ما يُراعى استقامتُه بعدَ القلبِ مِنَ الجوارح اللسانُ ، فإنَّه ترجمانُ القلب والمعبِّرُ عنه؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ــ رضي الله عنه ــ مرفوعاً وموقوفاً قَالَ: (إِذَا أَصْبَحَ ابْــنُ آدَمَ فَــإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ؛ فَتَقُولُ اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ؛ فَــإِنْ اسْــتَقَمْتَ اسْــتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا)[6].

المبحث الثالث: أهمية الاستقامة:

المطلوب من المسلم الاستقامة على الأمر، وهي السداد والإصــابة فــي النيــات والأقــوال والأعمال؛ فأعظم النعم التوفيق للاستقامة؛ فإن لم يقدر العبد عليها فالمقاربة، وهي أنْ يُصيبَ ما

---

[1] القاموس المحيط مادة: عدل، مختار الصحاح مادة: قوم، الصحاح في اللغة مادة: قوا، المعجم الوسيط مادة: قام.

[2] جامع العلوم والحكم ص٣٨٥.

[3] الترمذي (٢٤١٠) وأصله في مسلم (٣٨) و(٦٢).

[4] ينظر: مدارج السالكين ١١٩/٢.

[5] ينظر: جامع العلوم والحكم ص٣٨٦.

[6] الترمذي (٢٤٠٧) ورجح الترمذي وقفه على أبي سعيد.



قَرُبَ مِنَ الغرض إذا لم يُصِبِ الغرضَ نفسَه، ولكن بشرط أنْ يكونَ مصمِّماً على قصد السَّداد وإصابة الغرض، فتكون مقاربتُه عن غير عمدٍ؛ فإن نزل عنها فالتفريط والإضاعة، وإن من أعظم الحرمان أن يكون حال الجندي المسلم في أدنى هذه المراتب[1].

(فمعركة العقيدة ليست ككل معركة إنها معركة في الميدان ومعركة في الضمير، ولا انتصار في معركة الميدان دون الانتصار في معركة الضمير، إنها معركة لله فلا ينصر الله فيها إلاَّ من خلصت نفوسهم له، وما داموا يرفعون راية الله وينتسبون إليها فإن الله لا يمنحهم النصر إلاَّ إذا محَّصهم ومحَّضهم للراية التي رفعوها; كي لا يكون هناك غش ولا دخل ولا تمويه)[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ من أعظم الكرامة لزوم الاستقامة[3].

المبحث الرابع: الاستقامة في حياة الجندي المسلم:

إن من أخص صفات الجندي المسلم الاستقامة على الشرع بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وإلاَّ فعلام يختار هذا الطريق؟ قال تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (١١٢) سورة هود.

(يأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد، ونهى عن الطغيان وهو البغي؛ فإنه مَصرَعةٌ حتى ولو كان على مشرك، وأعلمَ تعالى أنه بصير بأعمال العباد، لا يغفل عن شيء، ولا يخفى عليه شيء)[4].

لقد منَّ الله على الجندي المسلم بأن اختاره وشرفه وجعله ذاباً ومحامياً عن دينه، وكمال هذا التشريف بأن يلتزم شرع ربه، ويمتثل أمره ونهيه، ويقتدي بسنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ؛ فالأصل العام الذي يسير عليه المسلم عموماً، والجندي المسلم على وجه الخصوص قوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} (٧) سورة الحشر، وليس هناك تنافر بين الاستقامة والجندية إلاَّ عند من أظلمت عقولهم بالهوى والجهل؛[5] فحاجة الجندي المسلم إلى الاستقامة على شرع الله تعالى ضرورة ملحة، إذ هي القوة الدافعة، والطاقة الكامنة لمن يريد نصر دين الله، وحفظ المسلمين من عدوان المعتدين.

---

[1] ينظر: مدارج السالكين ١١٨/٢-١١٩.

[2] في ظلال القرآن ٤٩٣/١.

[3] ينظر: مدارج السالكين ١١٩/٢.

[4] تفسير القرآن العظيم ٣٥٤/٤.

[5] ذكر اللواء الركن محمود شيت خطاب معاناته من كثير من الضباط الذين ساد عندهم هذا المفهوم المغلوط، ينظر: بين العقيدة والقيادة ص٢٩-٣٦.

قد تقدم الحديث عن شيء من حِكم مشروعية الجهاد العامة التي ينبغي ألاَّ تغيب عن الجندي المسلم، ومنها: إقامة راية التوحيد، وإعلاء دين الله في الأرض، ونشر الدين الإسلامي وتبليغه، ودعوة الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ فإن استشعار هذه المقاصد يزيد الجندي المسلم ــ بإذن الله تعالى ــ استقامة وثباتاً، وعزيمة وإصراراً.

إن الجندي المسلم حامل دعوة ورسالة قبل أن يكون حامل سلاح، وصاحب مبدأ ومنهاج هداية للناس، ولا يتحقق النصر المبين إلا بامتثال أمر الله تعالى ونهيه، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (٧) سورة محمد، ونصر الله هنا بنصر دينه ورسوله الذي أرسله، واتباع هديه وأمره ونهيه، والدفاع عنه بكل ما يستطاع، ومن كان كذلك نصره الله على عدوه وثبت أقدامه عند اللقاء؛ فإن الجزاء من جنس العمل.

ونصر الله يتحقق بنصرة شريعته ومنهاجه، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء، فهذا نصر الله في واقع الحياة، إنه لا جهاد، ولا شهادة، ولا جنة، إلاَّ حين يكون الهدف أن تكون كلمة الله هي العليا[١].

المبحث الخامس: الأمر بالاستقامة في سورة الأنفال:

جاء في ثنايا سورة الأنفال الأمر بالاستقامة على الشرع بطاعة الله والرسول، والاستجابة له في أربعة مواضع، مؤكدة على أهمية أن يتحلى بها مجاهدو بدر، ويقتدي بهم جنود الإسلام إلى يوم الدين.

ويجدر التنبيه إلى أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يطاع في هذه الآيات من جهتين: من حيث هو رسول مُشَرِّع، ومن حيث هو القائد في المعركة.

وقد بوب البخاري ــ رحمه الله ــ في صحيحه: (بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ التَّنَازُعِ وَالاخْتِلافِ فِي الْحَرْبِ، وَعُقُوبَةِ مَنْ عَصَى إِمَامَهُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ})[٢]، وغرضه من التبويب: بيان أن الهزيمة وقعت في أحد بسبب مخالفة أمر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ[٣].

فإلى هذه المواضع:

الموضع الأول قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (١) سورة الأنفال.

يأمر الله عباده المؤمنين المجاهدين مع رسوله الكريم في غزوة بدر بطاعة الله ورسوله في قَسْم الأنفال وتفريقها، والرضى بحكمه، وهي ما غنمه الجيش المسلم من عدوه غير المسلم[٤].

---

[١] ينظر: في ظلال القرآن ٣٢٨٨/٦.

[٢] صحيح البخاري ١١٠٤/٣.

[٣] ينظر: فتح الباري ١٨٨/٦-١٨٩.

[٤] اختلف في المراد بالأنفال على خمسة أقوال، وما ذكرته هو رأي جمهور أهل العلم، ينظر: أضواء البيان ٤٠٥/٢-٤٠٨.



الموضع الثاني قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ} (٢٠) سورة الأنفال.

يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له؛ ولهذا قال: {وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ} أي: لا تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره، {وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} أي: بعد ما علمتم ما دعاكم إليه[1].

الموضع الثالث قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (٢٤) سورة الأنفال.

يأمر الله عباده المؤمنين أن يجيبوا الله والرسول بالطاعة والتزام الأمر، إذا دعاهم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى ما يحييهم من الهدى ودين الحق[2].

الموضع الرابع قوله تعالى: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (٤٦) سورة الأنفال.

يأمر تعالى عباده المؤمنين وجنده المنصورين أن يطيعوا الله ورسوله في في كل حال وخاصة عند مقارعة المعتدين؛ فما يأمرهم الله تعالى به يائتمروا، وما ينهاهم عنه ينزجروا، ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضاً فيختلفوا فيكون سبباً لتخاذلهم وفشلهم، وذهاب القوة والحِدَّة وما كانوا فيه من الإقبال لقتال الأعداء[3].

المبحث السادس: ثمرات الاستقامة:

ربنا البَرُّ الرحيم الرحمن يجازي عباده المؤمنين المستقيمين على شرعه القويم، في الدنيا بالأمن من المخاوف، وعند الموت بالبشرى بالجزاء الأوفى؛ فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (١٣) سورة الأحقاف، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} (٣٠) سورة فصلت.

[1] ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣٣/٤.

[2] ينظر: معالم التنزيل ٣٤٤/٣، تفسير القرآن العظيم ٣٤/٤-٣٥.

[3] ينظر: تفسير القرآن العظيم ٧٢/٤.



المبحث السابع: مواضع تتبين فيها استقامة الجندي المسلم:

١. في دراسته العسكرية، وأهليته التعليمية.
٢. في مراحل التدريب والإعداد.
٣. في أداء عمله حال السلم والحرب.
٤. في التعامل مع المحاربين والمعتدين والأسرى والعزل من جالية العدو.

الــصــفــة الثالثة: الشجاعة.

المبحث الأول: تعريف الشجاعة:

الشَجاعَة في اللغة: (شدَّة القلب عند البأس)[١].

وهي في الاصطلاح: (هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والجبن، بها يقدم علــى أمــور ينبغي أن يقدم عليها، كالقتال مع الكفار ما لم يزيدوا على ضعف المسلمين)[٢]

المبحث الثاني: حقيقة الشجاعة وأهميتها:

حقيقة الشجاعة قوة القلب وثباته، وتكون محمودة إن كان الإقدام بعقل في مخاطرة يرجى منها الظفر أو دفع الضرر[٣].

إن الشجاعة من أهم عوامل النصر، والجندي المسلم حينما يقاتل أعداءه؛ فإن في قتاله عنوان على تحليه بقدر كبير من الشجاعة؛ فخوض المعارك والأهوال من أعظم الروافــد والمغــذيات لهذه الصفة السامية.

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب: (ولست أعرف عقيدة سماوية ولا أرضية تحث على الشجاعة حثاً حاسماً جازماً لا هوادة فيه كما فعلت العقيدة الإسلامية)[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (وما في القرآن من الحضِّ على الجهــاد والترغيب فيه، وذم الناكلين عنه والتاركين له، كله ذم للجبن، ولمَّا كان صلاح بني آدم لا يــتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم، بين سبحانه أن من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبــدل الله به من يقوم بذلك، ومن تولى عنه بإنفاق ماله أبدله الله من يقوم بذلك؛ فقال: {يَا أَيُّهَا الَّــذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَــاةِ الــدُّنْيَا مِــنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ*إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَــسْتَبْدِلْ قَوْمًــا

---

[١] العين، والصحاح في اللغة، والمخصص، ثلاثتها مادة: شجع، وينظر: المعجم الوسيط، مادة: شجع أيضاً.
[٢] التعريفات ص١٣٨.
[٣] ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها ٥٨٦/٢.
[٤] بين العقيدة والقيادة ١١٤.



غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (التوبة:٣٨-٣٩). وقال تعالى: {هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} (محمد:٣٨)[1].

المبحث الثالث: ذكر الشجاعة في سورة الأنفال:

أشارت إلى هذه الصفة في سورة الأنفال آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ*وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (١٥-١٦) سورة الأنفال.

وقال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (٣٩) سورة الأنفال.

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ} (٤٥) سورة الأنفال.

وقال تعالى مشيراً إلى الشجاعة، آمراً رسوله وجنده المؤمنين: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ*الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} (٦٥-٦٦) سورة الأنفال.

لقد كان سيد الشجعان وخاتم المرسلين يحرض المؤمنين على القتال، والمؤمنون يقاتلون بين يديه ومن خلفه في ميدان الوغى؛ فحضهم سبحانه على الصبر، وأخبر عن نفسه أنه مع الصابرين.

عَنْ عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا.[2]

فالممارسة العملية للقائد والمشاركة في ميدان القتال، تبعث روحاً معنوية للجنود تزيدهم إقداماً، وقد كان الأمراء والقادة والولاة أولي حظ وافر من هذه الخصلة المباركة؛ فصار للمسلمين في شتى الميادين هيبة وصولة وسلطان قاهر؛ إذ القدوة ترسم لهم مساراً بيصرونه بأعينهم.

أشار القرآن الكريم إلى هذه الصفة في غير سورة الأنفال في عدد من المواضع ومنها:

قال تعالى: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ*وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى

[1] الاستقامة ٢/٢٦٩-٢٧٠.

[2] خرَّجه أحمد (٦٥٢).



يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ*فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ*وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ} (١٩٠-١٩٣) سورة البقرة.

ففي هذه الآية توجيهٌ للمؤمنين بأخذ الثأر ورد العدوان من الكافرين، وتقديس المقدسات الإسلامية ورعاية حرمتها، ولم يغب التوجيه الكريم عن مراعاة العدل في ثنايا درس الشجاعة الجهادي.

وكما في قوله تعالى: {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (٢٩) سورة التوبة، وقوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (١٥) سورة الحجرات.

وهكذا الآيات تنزل تترى آمرة بقتال الكافرين، حاثة المسلمين على الجهاد، مادحة ومثنية على جند الله المؤمنين.

المبحث الرابع: نموذج لشجاعة الجندي المسلم في غزوة بدر.

الصحابيُّ الجليل مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ ــ رضي الله عنه ــ، وكَانَ أَوّلَ مَنْ لَقِيَ أَبَا جَهْلٍ من المسلمين في غزوة بدر، قَالَ مُعَاذُ: سَمِعْتُ الْقَوْمَ وَأَبُو جَهْلٍ فِي مِثْلِ الْحَرَجَةِ[1]، وَهُمْ يَقُولُونَ أَبُو الْحَكَمِ لا يُخْلَصُ إلَيْهِ[2]؛ فَلَمّا سَمِعْتُهَا جَعَلْتُهُ مِنْ شَأْنِي؛ فَصَمَدْت نَحْوَهُ فَلَمّا أَمْكَنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَضَرَبْته ضَرْبَةً أَطَنّتْ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ؛ فَوَاَللّهِ مَا شَبّهْتهَا حِينَ طَاحَتْ إلاّ بِالنّوَاةِ تُطِيحُ مِنْ تَحْتِ مِرْضَخَةِ النّوَى حِينَ يُضْرَبُ بِهَا.

قَالَ: وَضَرَبَنِي ابْنُهُ عِكْرِمَةُ عَلَى عَاتِقِي فَطَرَح يَدِي؛ فَتَعَلّقَتْ بِجِلْدَةٍ مِنْ جَنْبِي، وَأَجْهَضَنِي الْقِتَالُ عَنْهُ؛ فَلَقَدْ قَاتَلْتُ عَامّةَ يَوْمِي، وَإِنّي لأسْحَبُهَا خَلْفِي؛ فَلَمّا آذَتْنِي وَضَعْتُ عَلَيْهَا قَدَمِي، ثُمّ تَمَطّيْتُ بِهَا عَلَيْهَا حَتّى طَرَحْتُهَا.

ثُمّ عَاشَ ــ رضي الله عنه ــ بَعْدَ ذَلِكَ حَتّى كَانَ زَمَانُ عُثْمَانَ[3]

فانظر إلى شجاعة هذا الجندي المسلم، وقوة نفسه وقلبه، دخل على عدو الله أبي جهل في مكان منعزل عن أرض المعركة، قد أحاط به أصحابه وعشيرته ففتك به، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل استبسل وقاتل عامة يومه ويده مبتورة تتدلى بجلدة صغيرة.

[1] الحرجة بالتحريك: مُجْتَمَع شجَر ملْتَفّ كالغَيْضَة والجمْع حَرَجٌ وحِرَاجٌ، النهاية في غريب الحديث، مادة: حرج.

[2] أي: لا يستطيع أحد أن يصل إليه.

[3] السيرة النبوية ٢/٢٢٦.



ويصدق عليه قول الفارس الشجاع الأديب الأمير أسامة ابن منقذ ـ رحمه الله تعالى ـ حينما قال عن نفسه:

سَلْ بِي كُمَاةَ الْوَغَى كُلَّ مُعْتَرَكٍ يَضِيقُ بالنَّفْسِ فِيهِ صَدْرُ ذِي البَأْسِ
يَنَبِّئُوكَ بِأَنِّي فِي مَضَايِقِهَا ثَبْتٌ إِذَا الخَوْفُ هَزَّ الشَّاهِقَ الرَّاسِي
أَخُوضُهَا كَشِهَابِ القَذْفِ يَصْحَبُنِي عَضْبٌ كبرقٍ سرى أو ضوءِ مِقباس
إذا ضربت به قِرناً أُنازله أوْجَاهُ عن عائدٍ يغشاه أو آسي[1]

الصفة الرابعة: الإعداد العسكري والتدريب القتالي.

المبحث الأول: تعريف الإعداد والمراد به:

الإعداد: اتخاذ الشيء وتهيئته وتجهيزه، وادخاره إلى وقت الحاجة إليه[2].

والمراد به هنا: التدريبات المختلفة التي يتطلبها الجيش، مما يتصل بالدراسة العسكرية النظرية أو العملية، أو القتال، أو الأسلحة، أو التنظيمات اللازمة للقيام بها[3].

المبحث الثاني: حكم الإعداد:

أرشد الله إليه في سورة الأنفال، في آية جمعت قواعد هامة في الإعداد والقتال؛ فقال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} (٦٠) سورة الأنفال.

أمر تعالى بإعداد العدة الكافية من كل ما يتقوى به في الحرب كائناً ما كان، لإرهاب الأعداء وإخافتهم وإرغامهم، وهذا الأمر للوجوب بإعداد كل ما يمكن أن يدخل في الاستطاعة لقمع الكافرين، حسب الطاقة والإمكان، وأطلق عليه القوة مبالغة، وهذا يفتح على المتأمل آفاقاً وصنوفاً من الاستعداد العسكري الداخل في معنى الآية، على المستوى النظري العلمي، والمستوى التطبيقي العملي، بل إن الأمر يشمل أيضاً الإعداد النفسي والإيماني؛ فلا خير في آلة وعتاد لدى جندي ضعيف الإيمان واليقين، لا يعي قدر المنزلة التي شرفه الله تعالى بها[4].

[1] لباب الآداب ص١٩٥.

[2] ينظر: المعجم الوسيط مادة: عدّ، معالم التنزيل ٣٧١/٣، العذب النمير ١٥٠/٥.

[3] ينظر: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ٩٦٩/٢-٩٧٠.

[4] ينظر: روح المعاني ٣٠٨/١٠.



(فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد)[1]، وإطلاق لفظ القوة على العموم يقتضي أن تكون شاملة لكل آلات الحرب ومعدات القتال المناسبة لروح العصر، من العلم بصناعتها وتطويرها وصيانتها والتدريب عليها، وكذا الأخذ بأسباب التطور العلمي والتقني؛ لأنه إن لم يؤخذ به فقدت القوة قيمتها وهيبتها، وعجزت عن إرهاب العدو[2].

عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ ــ رضي الله عنه ــ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: ({وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} أَلا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ)[3] والظاهر العموم إلاَّ أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ خص الرمي بالذكر لأنه أقوى ما يتقوى بها؛ فهو من قبيل قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (الحج عرفة)[4].

وهو تنبيه على أن الرمي أهم الوسائل التي تكون بها القوة، ويعني إصابة الهدف، إلى يوم الناس هذا؛ فالانتصارات تكون بقدرة الجندي على إصابة هدفه، بالرصاصة، أو القنبلة، أو الصاروخ، ولعل فضل ذلك الرمي يثبت لهذا الرمي لقيامه مقامه في الذب عن بيضة الإسلام[5].

وتفسير النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ للقوة بأنها الرمي بالنبل أوالرمح لمناسبتها لذلك الزمان؛ فقد كان وقت نزولها أقوى القوة وأعظم العدة الخيل وما جرى مجراها من الرمي ونحوه[6].

ومن أهم عوامل إعداد القوة المأمور بها توفير السلاح والعتاد للجنود، فالتدريب النظري على مهارات استعمال السلاح لا يغني شيئاً في ميدان القتال، وكذا لا ثَبات لجيش عارٍ من السلاح أمام عدوه[7].

المبحث الثالث: شيء من الأسس العسكرية والعملية:

في قوله تعالى في الآية السابقة: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ..} إشارات إلى أسس وصفات مهمة:

الأولى: التدريب الجماعي؛ فقوله: {وَأَعِدُّواْ} واو الجماعة هنا تشير إلى أن الأمر بالإعداد للمؤمنين القادرين، ويدخل فيه الإعداد الفردي لتناول معنى الآية له عموماً.

الثانية: بذل الوسع في الاستعداد؛ لقوله: {مَّا اسْتَطَعْتُم}.

---

[1] في ظلال القرآن ١٥٤٣/٣.

[2] ينظر: إعداد الجندي المسلم ص:١٤٨.

[3] خرَّجه مسلم (١٩١٧)، وأبو داود (٢٥١٤)، وابن ماجه (٢٨١٣)، والترمذي (٣٠٨٣).

[4] خرَّجه الترمذي (٨٨٩)، وأبو داود (١٩٤٩) عن عبد الرحمن بن يعمر رضي الله عنه.

[5] ينظر: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ٩٨٠/٢.

[6] ينظر: العذب النمير ١٥٧/٥.

[7] ينظر: إعداد الجندي المسلم ص:٤٨٩.



الثالثة: أخذ الحيطة والحذر، فالمستعد دائماً للحرب يجب عليه ذلك، خاصة الأعداء الخفيون لقوله: {وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ}

الرابعة: المداومة والاجتهاد بمعرفة التدريبات العسكرية لقوله: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} فبذل الاستطاعة في الإعداد والتدريب، يقتضي المداومة والتكرار، إذ آفة العلم النسيان.

عَنْ الْحَارِثِ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ أَنَّ فُقَيْمًا اللَّخْمِيَّ قَالَ لِعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ــ رضي الله عنه ــ تَخْتَلِفُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْغَرَضَيْنِ وَأَنْتَ كَبِيرٌ يَشُقُّ عَلَيْكَ! قَالَ عُقْبَةُ: لَوْلا كَلامٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ لَمْ أُعَانِيهِ. قَالَ الْحَارِثُ فَقُلْتُ لابْنِ شَمَاسَةَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ إِنَّهُ قَالَ: (مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا أَوْ قَدْ عَصَى)[1]؛ ففيه تأكيد لهذا المعنى.

الخامسة: تأمين السلاح والمحافظة عليه والعناية به وتخزينه؛ لقوله: {وَأَعِدُّواْ لَهُم} فإعداد وتجهيز السلاح والعتاد حتى وقت الحاجة إليه يقتضي أن يكون بعناية فائقة؛ فالمعدُّ المدَّخَر يُحافظ عليه، وإلاَّ فما الفائدة من الادخار؟ وفي السيرة النبوية أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ استعار من صفوان بن أمية مئة درع بما يكفيها من السلاح، في غزوة حنين سنة ثمان.[2]

السادسة: اتخاذ السلاح الفتاك في العدو، واستبعاد ما قلت منفعته وزادت كلفة تخزينه؛ لقوله تعالى:{تُرْهِبُونَ بِهِ} فيدل على أن العدو يرهب من العتاد القوي، ويُضعِف معنوياته.

المبحث: الرابع: أهم فوائد التدريبات المختلفة للجيش المسلم:

١. الكفاءة القتالية.

٢. الاستعداد الفوري للقتال إن وقع، وتوطين النفس عليه؛ فما يقوم به الجندي من تدريبات واستعدادات عسكرية وعتادية.. كل هذا استعداداً لمقابلة العدو المعتدي.

٣. يمنح الجندي الثقة بالنفس؛ فإن القوة المادية المنظمة والمعدة إعداداً جيداً، ترفع معنويات الجندي وتزيد من إقدامه وشجاعته؛ فتزداد لديه الروح العسكرية، والإرادة القتالية.

٤. قلة خسائر الأرواح والمعدات في الحرب؛ فالجندي المدرب جيداً أقل تعرضاً للإصابة من زميله ناقص التدريب، وهذا ما أثبتته تجارب الحروب، كما في المبدأ العسكري: إن العَرَقَ في التدريب يوفر الدمَ في المعركة[3].

٥. (أن الاستعداد للحرب قد يمنع الحرب ويحقق السلام)؛[4] لقوله تعالى: {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ} وخوف العدو ورهبته تربك صفه، وتثبط عزيمته.

[1] خرَّجه مسلم (١٩١٩)، وابن ماجه (٢٨٠٤).

[2] ينظر: السيرة النبوية ٤٣٩/٢.

[3] ينظر: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ٩٨٢/٢.

[4] ينظر: إعداد الجندي المسلم ص:١٤٨.



الـــصـــفـــة الخامسة: الأمانة وعدم الخيانة.

المحافظة على أسرار الجيش المسلم في وقت السلم والحرب من الضروريات المهمة، والتفريط في العناية بها يعتبر من أعظم أسباب الهزائم والنكبات، وقد تزول بسببه دول وأقاليم.

المبحث الأول: تعريف الخيانة والتجسس وبيان المراد منهما:

لغة: تطلق على النقص، وعدم الأداء، والغدر، وهي ضد النصح[1]، ويعبر عنها في الجوانب العسكرية، بالعين، أو الجاسوس، أو العميل.

والتجسس في اللغة: التفتيش عن بواطن الأمور، وتتبع الأخبار وتفحصها[2].

والذي يهمنا من أعمال الخيانة أو التجسس هو: التجسس على مواطن الضعف والخلل، ونقل المعلومات السرية، والحصول على المعلومات المتعلقة بالوضع العسكري للجيش الإسلامي، أو الدولة الإسلامية، وتكون هذه المعلومات تفيد العدو، وتلحق الضرر بالمسلمين[3].

المبحث الثاني: ذم الخيانة، وبيان خطرها:

وقد ورد النهي عن الخيانة والغدر في السنة النبوية، في غير ما حديث؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ــ رضي الله عنه ــ أَنَّ النَّبِيَّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)[4].

ولقد أحسن أبو العتاهية ــ رحمه الله ــ حينما قال:

لَيسَ دُنيا إلاّ بدينٍ وليسَ الدِّ ... ينُ إلاَّ مكارمَ الأخلاقِ
إنَّما المكرُ والخديعةُ في النَّا ... رِ هُما مِنْ خِصالِ أَهْلِ النِّفَاقِ[5]

والداعي إلى الخيانة بعد الطمع شيئان: المهانة، وقلة الأمانة، ومن حسمهما عن نفسه ظهرت مروءته[6].

[1] ينظر: القاموس المحيط، المعجم الوسيط مادة: خون.

[2] ينظر: المصباح المنير، النهاية، القاموس المحيط، المعجم الوسيط أربعتها في مادة جسَّ.

[3] الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ٢/١١٥١-١١٥٢.

[4] خرَّجه البخاري (٣٤)، و(٢٣٢٧)، و(٣٠٠٧)، ومسلم (٥٨).

[5] نسبه له في جامع العلوم والحكم ص٨٠٩، ولم أجده في ديوانه.

[6] ينظر: أدب الدنيا والدين ص٥١٣-٥١٤.



ومن عقوبة الخيانة أن تجد الخائن ذليلاً يُسِر خيانته لضعته؛ لأنه بذُلِّ الخيانة مَهين، ولقلة ثقته بنفسه مستكين؛ فمن يَخُن يَهُن؛ فتسهل طرق الهوان إلى نفسه، ولو لم يكن من ذم الخيانة إلا ما يجده الخائن في نفسه من المذلة لكفاه زاجراً، ولو تصوَّر عُقبى أمانته وجدوى ثقته، لعلم أن ذلك من أربح بضائع الجاه، وأقوى شفعاء التقدم، مع ما يجده في نفسه من العِز، ويقابَل عليه من الإعظام.

فالخيانة خلق ذميم، تزداد خطورتها حينما يتعدى ضررها، ومن أعظم وسائل القضاء عليها ربط الجند بالله تعالى، وتجديد الولاء عليه، وإخلاص العبادة له، ومن كان كذلك لم ولن يفلح العدو في شراء ذمته، ولن يتمكنوا من جعله مطية للضرر بالجيش المسلم.

المبحث الثالث: ذكر الخيانة في سورة الأنفال:

ذكر الله تعالى الخيانة في سورة الأنفال في ثلاثة مواضع، اتفقت على ذكر الخيانة وذمها، واختلفت في تناولها، بيانها التالي:

الموضع الأول: لتحذير المؤمنين منها، ونهيهم عن خيانة الله والرسول، وأماناتهم.

فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} (٢٧) سورة الأنفال.

قيل إنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري ــ رضي الله عنه ــ حينما حاصر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يهود قريظة بعد نقضهم للعهد؛ فبعثه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إليهم؛ فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى؟ أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه إنه الذبح فلا تفعلوا.

قال أبو لبابة: والله ما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله؛ فهرب إلى المدينة وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علي؛ فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً حتى خرَّ مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه؛ فقيل له: يا أبا لبابة قد تِيب عليك، فقال: لا والله لا أحُلُّ نفسي حتى يكون رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو الذي يحلني؛ فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من ما لي، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (يجزيك الثلث أن تتصدق به)[١].

ففي الآية الكريمة: يأمر الله عباده المؤمنين أن يؤدوا ما ائتمنهم اللّه عليه من أوامره ونواهيه؛ فمن أدى الأمانة استحق من اللّه الثواب الجزيل، ومن لم يؤدها بل خانها استحق العقاب الوبيل، وصار خائناً للّه وللرسول ولأمانته، منقصاً لنفسه بكونه اتصفت نفسه بأخس الصفات، وأقبح

[١] ينظر: أسباب النزول ص٣٩٦-٣٩٧، وخرَّجه أبو داود مختصراً (٣٣١٩).



الشِّيات، وهي الخيانة مفوتاً على نفسه أكمل الصفات وأتمها، ألا وهي الأمانة والمراد نهيهم عن الخيانة بأن يضمروا خلاف ما يظهرون.[1].

ولما كان العبد ممتحناً بالدنيا، والشغف بها، خاصة فتنة المال والولد؛ فربما حمله محبة ذلك على تقديم هوى نفسه على أداء أمانته، أتبع الله الآية السابقة بقوله: {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} (٢٨) سورة الأنفال؛ فأخبر سبحانه وتعالى أن الأموال والأولاد فتنة يبتلي اللّه بهما عباده، وأنها عارية ستؤدى لمن أعطاها، وترد لمن استودعها، والمتأمل لأحوال الخونة والجواسيس على امتداد التاريخ، يبصر أن تعلقهم بالدنيا أثرَّ عليهم حتى تخلوا عن المبدأ، وخانوا الوطن.

الموضع الثاني: التحذير من الغدر بمن يخشى غدره من الأعداء، وإعلامهم بنبذ العهد، وإخباره تعالى عن نفسه أنه لا يحب الخائنين.

قال الله تعالى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ} (٥٨) سورة الأنفال.

يرشد الله رسوله الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ حال خوفه من خيانة من عاهدهم نقضًا لما بينه وبينهم من المواثيق والعهود، أن ينبذ إليهم عهدهم ويطرحه عليهم، {عَلَى سَوَاءٍ} أي: أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حَرب لهم، وهم حَرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء، أي: تستوي أنت وهم في ذلك، وقيل: على مهل، {إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} حتى ولو كانت في حق الكافرين فلا يحبها أيضًا[2].

والخيانة تضمنت النهي عن خيانة الله تعالى، وهي الإخلال بما استأمننا عليه.

الموضع الثالث: لتهديد أسرى المشركين المفادى بهم، إن خانوا رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مرة أخرى.

قال عز من قائل: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ*وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (٧١) سورة الأنفال.

نزلت في أسارى يوم بدر، وكان في جملتهم العباس عم رسول اللّه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومعه عشرون أوقية من الذهب، خرج بها إلى بدر ليطعم بها الناس، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا إطعام أهل بدر، ولم يكن بلغته النوبة حتى أُسر، فأُخذت معه وأخذها رسول الله ــ صلى

[1] ينظر: تيسير الكريم الرحمن ١٩٨/٢، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٥٧/٩.

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم ٧٩/٤.



الله عليه وسلم منه ــ قال: فكلمت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يجعل لي العشرين الأوقية الذهب التي أخذها مني من فدائي؛ فأبى عليّ وقال: (أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا)، وكلفني فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية من فضة؛ فلما طلب منه الفداء، ادَّعى العباس أنه مسلم قبل ذلك؛ فقال له رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (أعلم بإسلامك؛ فإن يكن كما تقول فالله يجزيك بذلك؛ فأما ظاهراً منك فكان علينا)[1] فلم يسقطوا عنه الفداء، وأخذ منه؛ فأنزل اللّه تعالى جبرا لخاطره ومن كان على مثل حاله[2].

المبحث الرابع: من صور الخيانة في الجوانب العسكرية:

تكون الخيانة في الجانب العسكري بأحد الأفعال التالية:

١. بث أسرار الجيش المسلم للعدو؛ فإفشاء أسرار الحرب خيانة عظمى، يترتب عليها وقوع خسائر فادحة، قد تصل لزوال دول، وقد يتوقع تسريب أسرار الجيش بعد الوقوع في الأسر، والأولى بمن يقع في الأسر بث معلومات مضللة؛ فهو من جهاد الأسرى إن صحت العبارة.

٢. حجب المعلومات الدقيقة عن القيادة، بإخفاء الواقع الميداني، أو السلوكي الخاص بالأفراد، أو إعطاء القادة تصورات مغلوطة عن الجند، وخاصة عند وجود ضغوط أو أخطاء؛ فلا يحجب عنهم أمر، ولا يكتم عنهم سر؛ فالضرر يعود على الجيش المسلم[3].

٣. التساهل وإهمال الممتلكات والمدخرات العسكرية، من ذخيرة، ومدفعية، ودبابات..

٤. تهميش المتميزين، وتقديم غير الأكفاء في المواقع الحساسة والخطرة بسبب حظوظ النفس.

الصفة السادسة: الدعاء.

المبحث الأول: تعريف الدعاء وحقيقته:

الدعاء هو: طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو دفعه[4].

قال الخطابي ــ رحمه الله تعالى ــ (ومعنى الدعاء: استدعاء العبد ربه ــ عز وجل ــ العنايةَ واستمداده إياه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله ــ عز وجل ــ وإضافة الجود والكرم إليه)[5]، (وأنفع الدعاء: طلب العون من الله تعالى على مرضاته)[6].

---

[1] ينظر: دلائل النبوة ١٤٢/٣.

[2] ينظر: أسباب النزول ص٤٠٤، تيسير الكريم الرحمن ٢١٨/٢.

[3] ينظر: إعداد الجندي المسلم ص٦٥٥.

[4] ينظر: بدائع الفوائد ٨٣٥/٣.

[5] شأن الدعاء ص٤.

[6] تصحيح الدعاء ص٣٤.



المبحث الثاني: أهميته في حياة الجندي المسلم:

الجندي المسلم أجاب نداء ربه؛ فهو متعلق به، مفتقر إليه، يوقن بأن النصر من عند الله، وأن هزيمة العدو لا تكون بعدد ولا عدة؛ فما هي إلاَّ أسباب، والنصر يتنزل من مسبب الأسباب سبحانه وبحمده، ولا تضيق إلاَّ وتنفرج، ولا تشتد إلاَّ وتلين {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا*إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} (٥-٦) سورة الشرح.

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ	وضاق بما به الصدر الرحيبُ
وأوطنت المكارهُ واطمأنت	وأرست في مكامنها الخطوبُ
ولم ترَ لانكشاف الضرِّ وجهاً	ولا أغنى بحيلته الأريبُ
أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ	يمنُّ به القريب المستجيبُ
وكل الحادثات وإن تناهت	فمقرونٌ بها فرجٌ قريبُ[1]

أشار الله إلى الدعاء وحال جنده المؤمنين في غزوة بدر الكبرى في سورة الأنفال بقوله:

{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ} * سورة الأنفال.

جاء في سبب نزولها: عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ــ رضي الله عنه ــ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً؛ فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ؛ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ؛ فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ؛ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ: كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلائِكَةِ..)[2]

الاسْتِغَاثَةُ : طَلَبُ الغَوْثِ وهو التَّخْلِيصُ من الشِّدةِ والنِّقْمَةِ والعَوْنُ على الفَكَاكِ من الشّدائد[3]. وتطلق الاستغاثة تجوزاً على الصياح ثم صارت حقيقةً عُرفيّةً فيه، يقال : أَتاهم الصَّرِيخُ أَي الإِغاثةُ[4].

[1] اختلف في نسبة هذه الأبيات، ولعل الراجح أنها لأبي حاتم يرويها عنه ابن دريد، ينظر: لباب الآداب ص٣٦١، ديوان المعاني ٢/١٠٦٥.

[2] خرَّجه مسلم (١٧٦٣)، والترمذي (٣٠٨١)، والبزار (١٩٦).

[3] ينظر: تاج العروس مادة، مفردات ألفاظ القرآن كلاهما مادة غوث.

[4] ينظر: تاج العروس مادة صرخ.



وفي هذا غاية الفقر إلى الله تعالى واستنزال نصره، وارتباط القلوب به؛ فتكون الاستغاثة هنا معنىً زائداً على الدعاء.

المبحث الثالث: شروط الدعاء:

وللدعاء شروط من المهم تحققها قبل الدعاء وفي أثنائه وبعده منها:[1]

١. دعاء الله تعالى، والتوسل إليه بالمشروع الوارد.

قال تعالى: {وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (١٨٠) سورة الأعراف.

٢. حسن الظن بالله تعالى.

٣. حضور القلب حال الدعاء.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ (ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ)[2]؛ فالإيقان بالإجابة حُسن ظن بالله تعالى، والإخبارُ بأن الله لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ قلبٍ غافل حثٌّ على حضور القلب حال الدعاء.

٤. إطابة المأكل والمشرب.

قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} (٢٧) سورة المائدة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا.. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ)[3]، أي: بعيد أن يستجاب له، ولو كان الداعي بتلك الحال من الحاجة والضعف؛ فلم يقبل دعاؤه لخبث المطعم والمشرب والملبس.

المبحث الرابع: آداب الدعاء:

١. الثناء على الله تعالى، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢. التضرع والابتهال والخشوع رغبة ورهبة.

قال الله تعالى عن عباده الصالحين: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (٩٠) سورة الأنبياء.

---

[1] ينظر: تصحيح الدعاء ص٢١-٣٠، الدعاء مفهومه.. ص٢٦ وما بعدها.

[2] خرَّجه الترمذي (٣٤٧٩)، وقواه العلامة الألباني بشاهد عند أحمد كما بينه في السلسلة الصحيحة (٥٩٤).

[3] خرَّجه مسلم (١٠١٥)، والترمذي (٢٩٨٩).



٣. الدعاء في كل الأحوال.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرْ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ)[١].

٤. رفع اليدين بالدعاء.

عن سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ عَنْ النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ: (إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا. أَوْ قَالَ: خَائِبَتَيْنِ)[٢].

المبحث الرابع: مواضع وأوقات يرجى فيها إجابة الدعاء:[٣]

١. بين الأذان والإقامة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ (الدُّعَاءُ لا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ، قَالُوا: فَمَاذَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)[٤].

٢. عند النداء للصلوات المكتوبة.

٣. عند زحف الصفوف والتحامها في المعركة.

٤. عند نزول المطر.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ (ثِنْتَانِ لا تُرَدَّانِ أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ، الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا [وَوَقْتُ الْمَطَرِ])[٥].

٥. الدعاء بــ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ.

عَنْ سَعْدٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ (دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ)[٦].

---

[١] خرَّجه الترمذي (٣٣٨٢)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٩٣).

[٢] خرَّجه ابن ماجة (٣٨٦٥)، والترمذي (٣٥٥٦)، وأبو داود (١٤٨٨).

[٣] ينظر: الدعاء مفهومه.. ص٥٣– ٦٨، تصحيح الدعاء ٣٢.

[٤] خرَّجه الترمذي (٢١٢) و(٣٥٩٤) و(٣٥٩٥)، وأبو داود (٥٢١).

[٥] خرَّجه أبو داود (٢٥٤٠).

[٦] خرَّجه الترمذي (٣٥٠٥).



الـــصـــفـــة السابعة: الصبر.

المبحث الأول: تعريف الصبر وماهيته:

لغة : الحبس، والشدة، والضم، والمنع وهو ضد الجزع؛ فهو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود عند المصائب.[١]

اصطلاحاً: خلق فاضل من قوى النفس، يحمل على فعل ما يحسن، ويمتنع به من فعل مـــا لا يحسن ولا يجمل.[٢]

وإن قيل: الإمساك في ضيق، وحبس النفس عما لا يليق؛ فحسن[٣].

وهو لفظ عام تتعدد أسماءه بالإضافة إلى متعلقه، واختلاف مواقعه؛ فإن كان في محاربة سمي شجاعة، وإن كان عن شهوة الفرج المحرمة سمي عفة، وإن كان عن نشر ما لا يحسن إظهاره من الكلام سمي كتمان سر.. وهكذا[٤].

الصبر أدب يبدأ به العاقل، وإليه يضطر الجاهل، وهو كمال في الدنيا، وأجر فـــي الآخـــرة، حجاب عن الشمات، وعون في النائبات.[٥]

الصبر زاد في البلاء، يوفق الله إليه من شاء، وهو من أعظم الزاد للجندي السلم.

المبحث الثاني: أقسام الصبر:

ينقسم الصبر إلى ثلاثة أقسام:[٦]

١. صبر على طاعة الله تعالى، والدليل قول الله تعالى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} (١٣٢) سورة طـــه.

٢. صبر عن معصية الله تعالى، والدليل قول الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ} (٨٠) سورة القصص.

٣. صبر على قضاء الله تعالى وقدره، والدليل قول الله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} (١٥٥) سورة البقرة.

---

[١] ينظر: تهذيب اللغة، مختار الصحاح، القاموس المحيط، المصباح المنير جميعها مادة: صبر، وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص٢٩.

[٢] هذا التعريف مستنبط من عدة تعريفات، ينظر: مدارج السالكين ٢/ ١٧٨، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص٢٩، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٣٠٥/٢، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة ص١٨٥.

[٣] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن مادة: صبر.

[٤] ينظر: المرجع السابق، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص٣٤.

[٥] ينظر: لباب الآداب ص٢٩٤.

[٦] ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص٤٦-٤٩، مدارج السالكين ١٨٨/٢-١٩١.



وقد صرح غير واحد من السلف ــ عليهم رحمة الله ــ أن الصبر على الطاعات وعن المحرمات أفضل من الصبر على الأقدار المؤلمة، فللعبد فيهما اختيار، أما الصبر على الأقدار فليس للعبد فيه اختيار[1].

المبحث الثالث: أهمية الصبر وعاقبة أهله:

الصبر ضرورة حياتية لكل عمل نافع إيجابياً كان أوسلبياً؛ فكسب الرزق يحتاج إلى صبر, ومعاملة الناس تحتاج إلى صبر, والاستقامة على شرع الله تحتاج إلى صبر, والكف عن المحرّمات والمكروهات يحتاج إلى صبر, وقيام الجندي المسلم بعمله خير قيام يحتاج إلى صبر، والجهاد في سبيل الله يحتاج إلى صبر, وهكذا إلى سائر الأعمال التي يمارسها الإنسان في حياته تحتاج إلى صبر[2].

قال الإمام أحمد ــ رحمه الله تعالى ــ الصبر في القرآن في تسعين موضعاً،[3] وقد ذكر ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ أن الصبر ورد في القرآن الكريم على ستة عشر نوعاً، وفصلها.[4]

والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد؛ لأن من لا صبر له على الطاعة، ولا صبر له عن المعصية، ولا صبر له على أقدار الله المؤلمة؛ فإنه يفوته أكثر الإيمان.

وليفرح جند الله الصابرون بلطف الله بهم، ومجازاته لهم على اصطبارهم لطاعته، قال الله تعالى : {وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (٩٦) سورة النحل.

أقسم جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه سيجزي الذين صبروا أجرهم ــ أي جزاء عملهم ــ بأحسن ما كانوا يعلمون، وبين سبحانه في موضع آخر: أنه جزاء بلا حساب؛ كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} (١٠) سورة الزمر، قال ابن جريج ــ رحمه الله تعالى ــ: بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يزادون على ذلك [بلا حساب][5].

المبحث الرابع: أهمية الصبر في حياة الجندي المسلم:

طريق الكرامة الذي اختاره الجندي المسلم لم يكن في يوم من الأيام سهلاً مذللاً، وإن كانت عاقبته الثواب الجزيل، والرفعة في الدنيا والكرامة في الآخرة، إنه طريق ناح فيه نوح، وذبح عليه زكريا، وألقي بسببه يونس في اليم، وضُرِّج بدمه يحيى، وكُذب من أجله موسى، وألقي سلى الجزور على محمد ــ صلى الله عليهم أجمعين ــ قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ

---

[1] ينظر: جامع العلوم والحكم ص٤١٤.

[2] ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها ٣١٩/٢.

[3] ينظر: مدارج السالكين ١٧٤/٢. وقد وردت كلمة صبر في القرآن: ٦٩مرة، وكلمة: صابر: ٢١؛ فيكون المجموع = ٩٠.

[4] ينظر: مدارج السالكين ٢/ ١٧٤-١٧٧.

[5] ينظر: أضواء البيان ٤٢١/٣، تفسير القرآن العظيم ٨٩/٧.



وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ} (٢١٤) سورة البقرة.

المبحث الخامس: الأدلة على الصبر:

قال الله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَـرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} (١٥٥) سورة البقرة.

قال سعيد بن جبير ــ رحمه الله تعالى ــ: الصبر اعتراف العبد لله بما أصاب منه، واحتسابه عند الله رجاء ثوابه، وقد يجزع الرجل وهو مُتَجَلِّد لا يُرى منه إلا الصبر[1].

وقال تعالى: {مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَـا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} (١٧٩) سورة آل عمران، ولا يكون تمييز الصف إلاَّ بالابتلاء، وتفضيل المؤمنين على غيرهم في وقت البلاء يكون بالصبر واليقين.

وقد أبدى الله وأعاد الوصية لنبيه ورسوله بالصبر؛ فقال تعالى: {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّـهَ لاَ يُـضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} (١١٥) سورة هود، وقال: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَـيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ } (١٢٧) سورة النحل.

وأخبر عن عاقبة الصابرين؛ فقال: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} (٢٤) سورة السجدة؛ فلما كانوا صابرين على أوامر الله وتـرك نواهيـه وزواجـره، وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوهم به، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويـدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

قال سفيان الثوري ــ رحمه الله تعالى ــ: هكذا كان هؤلاء، ولا ينبغي للرجل أن يكون إماماً يُقتَدى به حتى يتحامى عن الدنيا، قال غيره: وهذا الصبر صبر على الدين وعلى البلاء[2].

المبحث السادس: صبر أرباب القتال في سورة الأنفال:

وقد وردت آيات تشير إلى الصبر في عدة مواضع من سورة الأنفال، منها:

الموضع الأول: قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَـلاَ تُوَلُّـوهُمُ الأَدْبَارَ} (١٥) سورة الأنفال.

يأمر سبحانه وتعالى عباده المؤمنين حال زحفهم للعدو، والتزاحـف: التـداني فـي القتـال، والاجتماع والتزاحم بعضهم إلى بعض، ألاَّ يولوهم ظهورهم، وينهزموا؛ فإن المنهـزم يـولى

[1] ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤٤٦/١.

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠٠/١٤، تفسير القرآن العظيم ٣٧١/٦.



دبره؛ فالصبر خصلة لا بد أن يتحلى بها الجندي المسلم في هذا الموضع بالذات، ومهما يكن فممتثل هذا الأمر على قدر كبير من الصبر، وقوة القلب، والثبات على تحقيق الهدف.[1]

الموضع الثاني: قوله تعالى: {وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (٢٦) سورة الأنفال، يذكرهم الله بما كانوا عليه، ولقد كانوا صابرين ثابتين على الدين القويم رغم قلتهم، واستضعافهم وخوفهم.

الموضع الثالث: قوله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (٣٩) سورة الأنفال.

امتثال الأمر بقتال الكافرين ومباشرته يشير إلى صفات شريفة في الجندي المسلم ومنها التحلي بالصبر اللا محدود؛ فقد أمر بقتالهم سبحانه، وجعل أجل تلك المعركة ومنتهاها زوال الشرك والكفر، وهو أجل واسع ليتربى العباد فيه على مواصلة الصبر.

الموضع الرابع: قوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ} (٤٥) سورة الأنفال.

أمر الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة بالثبات عند لقاء العدو، وأن يذكروا الله كثيراً مشيراً إلى أن ذلك سبب للفلاح، وفي الأمر بالإكثار من ذكر الله تعالى في أضيق الأوقات، وهو وقت التحام القتال دليل واضح على أن المسلم ينبغي له الإكثار من ذكر الله على كل حال، سيما في وقت الضيق والشدة والكرب، والمحب الصادق في حبه لا ينسى محبوبه عند نزول الشدائد، زاده الصبر واحتساب الأجر[2].

الموضع الخامس: قوله سبحانه وبحمده: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (٤٦) سورة الأنفال.

يأمر تعالى عباده المؤمنين وجنده المنصورين أن يطيعوا الله ورسوله في في كل حال وخاصة عند مقارعة المعتدين؛ فما يأمرهم الله تعالى به يأتمروا، وما ينهاهم عنه ينزجروا، ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضاً فيختلفوا فيكون سبباً لتخاذلهم وفشلهم، وذهاب القوة والحِدَّة وما كانوا فيه من الإقبال لقتال الأعداء.[3]

ولعل مناسبة ختم الآية بالأمر بالصبر، ومعية الله للصابرين؛ للتأكيد على أهمية الترفع عن حضوض النفس ورغباتها؛ فمجاهدتها يحتاج إلى صبر وافر، خاصة في مواطن الشدة كالقتال في ميدان المعركة.

---

[1] ينظر: معالم التنزيل ٣/٣٣٧، تفسير القرآن العظيم ٤/٢٧.

[2] ينظر: أضواء البيان ٢/٤٨٥-٤٨٦.

[3] ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤/٧٢.



الموضع السادس: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ} (٦٥) سورة الأنفال.

يأمر الله تعالى رسوله الأمين بأن يحث المؤمنين على القتال، وهذا لا بد له من زاد وهو الصبر، للآمر والمأمور، وجعل الصابرين هنا هم المحتسبون القائمون بالتكليف الشرعي، ولو شق على النفس[1].

المبحث السابع: مواضع يحتاج الجندي المسلم فيها إلى الصبر.

الصبر زاد لا غنى عنه للجندي المسلم في:

١. تلقي التدريبات وإتقانها، والمداومة عليها.
٢. تلقي التعليمات وإتقان تنفيذها.
٣. المحافظة على أسرار العمل.
٤. الثبات على المبدأ، والتصميم على تحقيق الهدف.
٥. التنقلات في أطراف البلاد لمصلحة العمل.
٦. أثناء المعركة مع العدو.
٧. أثناء التعامل في دائرة العمل مع القادة، والزملاء والأفراد.
٨. أثناء التعامل مع الأسرى والمخالفين.

هذا ما تيسر وأعان الله عليه، وأسأل الله التوفيق والسداد، وأن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويوفق جنده المسلمين لما يحب ويرضى، وأسأله أن يجنب بلادنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يثيب القائمين والمنظمين للمسابقة والملتقى، وأن يسبغ الخلف على داعم المسابقة وراعيها، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الباحث: أحمد الخطاف

[1] ينظر: معالم التنزيل ٣/٣٧٤-٣٧٥، تفسير القرآن العظيم ٤/٨٦-٨٧.



المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. الإتقان في علوم القرآن. المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١). تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير، لبنان. ط:١، ١٤٠٧هـ

٣. أحكام أهل الذمة. المؤلف: محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١). تحقيق: يوسف البكري، شاكر العاروري. رمادي للنشر، السعودية. ط: ١، ١٤١٨هـ

٤. الأخلاق الإسلامية وأسسها، المؤلف: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني (ت١٤٢٣). دار القلم، سورية. ط:٦، ١٤٢٣هـ

٥. أدب الدنيا والدين. المؤلف: علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (ت٤٥٠). المحقق: ياسين بن محمد السواس. دار ابن كثير، سوريا. ط:١، ١٤١٣هـ

٦. أسباب نزول القرآن. المؤلف: علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت٤٦٨). المحقق: د/ ماهر بن ياسين الفحل، دار الميمان. السعودية. ط:١، ١٤٢٦هـ

٧. الاستقامة. المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨). المحقق: د/ محمد رشاد سالم. دار الهدى. مصر. ط:١، ١٤٢٠هـ

٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣) أشرف على التحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد. دار علم الفوائد، السعودية. ط: ١، ١٤٢٦هـ

٩. إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه. المؤلف: عبد الله بن فريح العقلاء، مكتبة الرشد، السعودية. ط: ٢، ١٤٢٢هـ

١٠. الإقناع. المؤلف: محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت٣١٨) المحقق: د/ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، مطابع الفرزدق التجارية. السعودية. ط: ١، ١٤٠٨هـ

١١. أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه. المؤلف: د/ علي بن نفيع العلياني، دار طيبة. السعودية ط: ٢، ١٤١٦هـ

١٢. البحر الزخار: المؤلف: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار (ت٢٩٢). المحقق: د/محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم. السعودية. ط: ١، ١٤٠٩هـ

١٣. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. المؤلف: علاء الدين أبو بكر الكاساني (ت٥٨٧).تحقيق: محمد خير حلبي. دار المعرفة، لبنان. ط: ١، ١٤٢٠هـ



١٤. بدائع الفوائد. المؤلف: محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزيـــة (ت٧٥١). المحقـــق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد. السعودية. ط: ١، ١٤٢٥هـ
١٥. بين العقيدة والقيادة. المؤلف: محمود بن شيت خطاب. دار القلم. سورية. ط: ١، ١٤١٩هـ
١٦. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف. المؤلف: أبو الحجاج يوسف المزي (ت٧٤٢). دار الغـــرب الإسلامي. لبنان ط: ١، ١٤١٩هـ
١٧. التربية الجهادية في ضوء الكتاب السنة. المؤلف: عبد العزيز بـــن ناصـــر الجليـــل. ط: ١، ١٤٢٤هـ
١٨. تصحيح الدعاء. المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، السعودية ط: ١، ١٤١٩هـ
١٩. التعريفات: المؤلف: علي بن محمد الجرجاني(ت٨١٦). .المحقق: محمد القاضي، دار الكتاب المصري. مصر. ط: ١، ١٤١١هـ
٢٠. تفسير القرآن العظيم. المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت٧٧٤). المحقق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة. السعودية. ط: ١، ١٤١٨هـ
٢١. التقريب لعلوم ابن القيم. المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيـــد. دار الرايـــة. الـــسعودية ط: ١، ١٤١١هـ
٢٢. تهذيب مدارج السالكين. المؤلف: عبد المنعم بن صالح العـــزي. دار المطبوعـــات الحديثـــة، السعودية. بدون رقم ولا تاريخ طبع.
٢٣. تيسير الكريم الرحمن في تفـــسير كـــلام المنـــان. المؤلـــف: عبـــد الـــرحمن بـــن ناصـــر السعدي(١٣٧٦). تقديم:محمد زهري النجار. دار المدني بجدة. السعودية . بدون رقم الطبعـــة، سنة:١٤١٩هـ
٢٤. جامع العلوم والحكم.المؤلف: عبد الرحمن بن شهاب الدين الـــشهير بـــابن رجـــب الحنبلـــي (ت٧٩٥). المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد. دار ابـــن الجـــوزي، الـــسعودية. ط: ٢، ١٤٢٢هـ
٢٥. الجامع لأحكام القرآن. المؤلف: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١). المحقق: عبـــد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، لبنان. ط: ٤، ١٤٢٢هـ
٢٦. الجهاد والقتال في السياسية الشرعية. المؤلف: د/ محمد بن خير هيكل. دار البيارق، لبنـــان. ط: ١، ١٤١٤هـ
٢٧. الدعاء مفهومة – أحكامه – أخطاء تقع فيه. المؤلف: محمد بـــن إبـــراهيم الحمـــد. دار ابـــن خزيمة، السعودية ط: ٢، ١٤١٨هـ



٢٨. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. المؤلف: أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨). المحقق:د/ عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية. لبنان. ط:١، ١٤٠٨هـ

٢٩. الدليل إلى مراجع الموضوعات الإسلامية. المؤلف: محمد بن صالح المنجد. دار الوطن، السعودية. ط: ١، ١٤١٤هـ

٣٠. ديوان أبي العتاهية. المؤلف: إسماعيل ابن القاسم ابن سويد (ت٢١١)، دار الكتب العلمية، لبنان. بدون رقم ولا سنة طباعة.

٣١. ديوان المعاني. المؤلف: أبو هلال الحسن العسكري (ت٣٩٥). المحقق: أحمد سليم غانم، دار الغرب الإسلامي. لبنان . ط:١، ١٤٢٤هـ

٣٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. المؤلف: محمود الألوسي (ت١٢٧٠). مقابلة وتعليق: محمد الأمد، عمر السلامي. دار إحياء التراث العربي، لبنان. ط: ١، ١٤٢٠هـ

٣٣. زاد المعاد في هدي خير العباد. المؤلف: محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١). المحقق: شعيب وعبد القادر الأرنوؤط. مؤسسة الرسالة، لبنان. ط: ١٥، ١٤٠٧هـ

٣٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢١). مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، السعودية. ط: ٢، ١٤١٥هـ

٣٥. سنن ابن ماجه. المؤلف : أبو عبد الله محمد القزويني (ت٢٧٣)المحقق: د/ بشار عواد معروف. دار الجيل، لبنان. ط:١، ١٤١٨هـ

٣٦. سنن أبي داود. المؤلف: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥).المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، لبنان. ط: بدون رقم، ١٤١٤هـ

٣٧. سنن الترمذي. المؤلف: محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩). المحقق: د/ بشار عواد معروف. دار الجيل، لبنان. ط: ٢، ١٤١٨هـ.

٣٨. السيرة النبوية. المؤلف: عبد الملك بن هشام المعافري (ت٢١٨)..المحقق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، مكتبة العبيكان، السعودية. ط: ١، ١٤١٨هـ

٣٩. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١) بعناية: سعد بن فواز الصميل. دار ابن الجوزي، السعودية. ط:٢، ١٤١٥هـ

٤٠. الشرح الممتع على زاد المستقنع. المؤلف: محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١) المحقق: د/ سليمان بن عبد الله أبا الخيل، د/ خالد بن علي المشيقح. مؤسسة آسام. السعودية. ط:١، ١٤١٧هـ



٤١. شرح صحيح مسلم. المؤلف: يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦). مؤسسة قرطبة. مصر. ط:١، ١٤١٢هـ

٤٢. شرح منتهى الإرادات. المؤلف: منصور بن يونس البهوتي(ت١٠٥١).تحقيق: د/ عبد الله التركي. مؤسسة الرسالة، لبنان. ط: ١، ١٤٢١هـ

٤٣. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. المؤلف: محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١). المحقق : محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، لبنان ط: ٨، ١٤١٩هـ

٤٤. العدة في شرح العمدة. المؤلف: بهاء الدين عبد الرحمن المقدسي(ت٦٢٤). .المحقق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة، لبنان. ط: ١، ١٤٢١هـ

٤٥. العذاب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير. المؤلف:محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣). المحقق: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد. السعودية ط: ٢، ١٤٢٦هـ

٤٦. عقيدة أهل السنة والجماعة، مفهومها، خصائصها، خصائص أهلها. المؤلف: محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، السعودية ط: ٢، ١٤١٩هـ

٤٧. فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري. المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢). المحقق: محب الدين الخطيب وأخوية. دار الريان للتراث، مصر. ط: ٢، ١٤٠٩هـ

٤٨. في ظلال القرآن. المؤلف: سيد قطب (ت١٣٨٦). دار الشروق، مصر. ط: ٢٥، ١٤١٧هـ

٤٩. القاموس المحيط. المؤلف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧). تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. مؤسسة الرسالة، لبنان. ط:٦، ١٤١٩هـ

٥٠. كتاب الإنجاد في أبواب الجهاد. المؤلف: محمد بن عيسى بن أصبغ الأزدي المعروف بابن المناصف (ت٦٢٠). المحقق: قاسم بن عزيز الوزاني، دار الغرب الإسلامي، لبنان. ط: ١، ١٤٢٣هـ

٥١. كشاف القناع عن متن الإقناع. المؤلف: منصور بن يونس البهوتي(ت١٠٥١). تحقيق: محمد الشافعي. دار الكتب العلمية، لبنان. ط:١، ١٤١٨هـ

٥٢. الكليات. المؤلف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤). المحقق: د/ عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة. لبنان. ط:٢، ١٤١٩هـ

٥٣. لباب الآداب: المؤلف: الأمير أسامة بن منقذ (ت٥٨٤)..المحقق: أحمد بن محمد شاكر، مكتبة السنة، مصر. ط: ٢، ١٤٠٧هـ



٥٤. المبسوط. المؤلف: محمد بن أحمد السرخسي(ت٤٨٣).تحقيق: سمير مصطفى رباب. دار إحياء التراث العربي، لبنان. ط: ١، ١٤٢٢هـ

٥٥. مجموعة التوحيد. تحقيق: بشير بن محمد عيون، مكتبة دار البيان، سوريا. بدون رقم الطبعة، ١٤١٣هـ

٥٦. المحلى. المؤلف: على بن أحمد بن حزم (ت٤٥٦).تحقيق: أحمد محمد شاكر. دار التراث، مصر. بدون رقم طبعة ولا سنة طبع.

٥٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.المؤلف: محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١). المحقق:أحمد بن فخري الرفاعي ، عصام بن فارس الحرستاني. دار الجيل. لبنان. ط: ١، ١٤١٢هـ

٥٨. مدخل إلى العلوم العسكرية. المؤلف: يوسف بن إبراهيم السلوم. شركة الطباعة العربية السعودية، السعودية ط: ٢، ١٤٠٦هـ

٥٩. المذاهب العسكرية في العالم. المؤلف: بسام العسلي. دار النفائس، لبنان ط:١، ١٤١٣هـ

٦٠. المسند. المؤلف: أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١). المحقق: شعيب الأرنؤوط وزملائه. مؤسسة الرسالة، لبنان. ط:١، ١٤١٨هـ

٦١. مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام. المؤلف: أحمد بن إبراهيم المشهور بابن النحاس الدمياطي (ت٨١٤). المحقق: إدريس بن محمد علي، محمد بن خالد إستطنبولي. دار البشائر الإسلامية، لبنان. ط: ١، ١٤١٠هـ

٦٢. المطلع على ألفاظ المقنع. المؤلف: محمد بن أبي الفتح البعلي (ت٩٠٧). المحقق: محمود الأرناؤوط، ياسين بن محمود الخطيب. مكتبة السوادي للتوزيع، السعودية. ط: ١، ١٤٢٣هـ

٦٣. معالم التنزيل. المؤلف: الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦). .المحقق: محمد بن عبد الله النمر ورفيقيه، دار طيبة، السعودية. ط: ١، ١٤٠٩هـ

٦٤. المعجم الوسيط. تأليف: إبراهيم مصطفى وزملائه. المكتبة الإسلامية، تركيا.بدون رقم ولا تاريخ طبع.

٦٥. المغني. المؤلف: عبد الله بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠). المحقق: د/ عبد الله التركي، د/ عبد الفتاح الحلو. هجر للطباعة والنشر، مصر. ط: ٢، ١٤١٣هـ

٦٦. مفردات ألفاظ القرآن. المؤلف: العلامة الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥). المحقق: صفوان بن عدنان داوودي. دار القلم، سوريا. ط:١، ١٤١٢هـ



٦٧. مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة. المؤلف: سعيد بن علي القحطـــاني. توزيـــع مؤسسة الجريسي. ط: ١، ١٤١٥هـ

٦٨. الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الكويت. ط: ٤، ١٤٢٣هـ

٦٩. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجــوزي (ت٥٩٧). .المحقق: محمد بن عبد الكريم كاظم الراضي. مؤســسة الرســالة، لبنــان. ط: ٢، ١٤٠٥هـ

٧٠. النهاية في غريب الحديث والأثر. المؤلف: المبارك بن محمد الجــزري (ت٦٠٦).تحقيــق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي. المكتبة العلميــة، لبنــان. بــدون رقــم طبعــة، ١٣٩٩هـ

٧١. نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار. المؤلف: محمد بن علي محمد الشوكاني (ت١٢٥٠). .المحقق: أحمد السيد، محمود بزال، محمد الموصـــللي. دار الكلــم الطيــب، لبنــان . ط:١، ١٤١٩هـ

٧٢. هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً. المؤلف: محمود بن محمد الخزندار، دار طيبة، السعودية ط: ١، ١٤١٦هـ .

